أهمية التراث العمراني
في دعم السياحة الثقافية

م.د. جمعة الطلبي
قسم الآثار– كلية الآداب – جامعة بغداد

أ.م.د. نعيم الزيدي
قسم الآثار– كلية الآداب – جامعة المثنى

مقدمة البحث :

يعد التراث العمراني ثروة حضارية وثقافية تراكمت عبر العصور، وهو وعاء تجارب إنسانية ثرة ومتنوعة، إذ يمثل هوية الشعوب والأمم، ويجسد ثقافة الفرد، والمجتمع، والأمة، وهو المعبر الصادق عن الإنجازات الفكرية والثقافية والحضارية المحلية والأممية. والتراث العمراني منظومة تعكس قصة التطور الحضاري للإنسان في التأريخ، وتمثل الرمز المادي الذي يجسد تأريخ الأمم وتراثها. وللتراث العمراني أهمية تأريخية وحضارية وعلمية واجتماعية واقتصادية وفنية جمالية لذا توجب العناية به واستثماره في الجانب الاقتصادي، فهو رافد مهم في دعم السياحية الوطنية، ويشكل في كثير من دول العالم مصدرا مهما في الدخل القومي، فهو مورد مهم ذا جدوى اقتصادية في التركيز على السياحة الداخلية وتيسير السبل لتوطينها لتكون مصدر ثابت للمواطنين، كذلك يمكن للمواطنين والسياح زيارة هذه المعالم السياحية، وقد أصبحت تمثل عنصر جذب سياحي مهم لاستيعاب أموال المستثمرين لقيمتها الاقتصادية الفعلية، التي تنبع من ندرتها وأصالة مكونات عناصرها العمرانية، التي تقدم فرصاً كبيرة للربح الاقتصادي المباشر، في مجال السياحة الثقافية بإعادة استخدامها في وظائف جديدة؛ متاحف، ومكتبات وفنادق ومطاعم تعود بالمنافع الاقتصادية المتعددة. لقد أصبحت مناطق التراث العمراني الجاذبة في عالمنا الحالي مورداً اقتصادياً سياحياً مهماً، للاطلاع والترفيه والتنزه والاستجمام مما يؤسس لتنمية مستدامة تنعكس إيجابياً في منافع اقتصادية واجتماعية للمجتمعات المحلية وفي زيادة وتنوع مصادر الدخل الوطني. إذ تميزت مباني التراث العمراني بقدرتها على استيعاب بعض النشاطات التي فقدتها المدن الحديثة، فهي تشكل جزءً مكملاً للترفيه والتنزه في المدن الحديثة.

التراث العمراني :

يمثل التراث العمراني هوية الشعوب والأمم، وهو التأريخ المادي والمعنوي، والمرآة الحقيقية لأية حضارة. وتمثل معالم هذا التراث شاهداً حياً على أصلة العمران وعراقته وإرتباطه بالبيئة المحلية والعادات والتقاليد المتوارثة؛ فهو يشكل عنصراً مهماً من عناصر الهوية الثقافية والمعمارية **(الزهراني، ٢٠١٢ ، ص٢٥)**. يمكن تعريف التراث العمراني بأنه كل ما شيده

الإنسان من مدن وقرى ومباني ومعابد ومزارات وكنائس وكنس وأحياء وأسواق وغيرها. ويندرج التراث الأثري ضمن التراث العمراني، وهو يشمل جميع الممتلكات المنقولة أو الثابتة ذات الأهمية الكبرى في تراث الشعوب الثقافي، كالمباني المعمارية أو الفنية أو التاريخية بمختلف أنواعها وكذلك الأماكن الأثرية والتحف الفنية والمخطوطات والكتب، كما يشمل المتاحف ودور الكتب الكبرى ومخازن المحفوظات وحتى المخابئ المعدة لوقاية الممتلكات الثقافية المنقولة **(بويحياوي ، ٢٠٠٧ ، ص١٩)**. إذن يشمل التراث العمراني عناصر كثيرة ومتنوعة، بضمنها البيئة المحيطة بالأثر العمراني ، فالأهوار مثلاً هي مهد الحضارة الجنوبية، وتعد من أجمل المناطق في العراق والعالم، وتمثل مناطق سياحية جاذبة بمناظرها الخلابة وأماكنها المناسبة للصيد والنزهة بالقوارب وسط المياه، وبين مساكن السكان، التي عملت من القصب، وهو المادة الأكثر ملائمة للبيئة وسط مياه الهور، وعادة ما تبنى هذه الأكواخ على جزر طبيعية أو أرضية اصطناعية من القصب والطين المطلي بالأسفلت، وهي تحاكي نظيراتها في الموغلة في القدم حيث عاش سكان حضارة الجنوب، فضلاً عن التجوال بين آثار مهد الحضارة الإنسانية **(أوتس ، ١٩٨٩ ، ص٨٨–٩٣ ؛ كريمر ، ١٩٧٣ ؛ Elizabith , 2001 , p.278-279)**.

إن جمالية الأهوار وأهليتها للسياحية وتوزيع المساكن الملائمة للبيئة والفريدة من نوعها يسمح بعدها ظاهرة طبيعية فائقة أو مناطق ذات جمال طبيعي استثنائي. إن الأثار المدفونة في ترسبات هذه الأهوار، التي تعود إلى أقدم العصور وأول الحضارات المتطورة في التأريخ تساعد على عدها إحدى القيم الإنسانية الهامة والمشتركة لحقبة من الزمن أو في المجال الثقافي سواء في تطوير تصميم المناظر الطبيعية أو تخطيط المدن أو الفنون الأثرية أو الهندسة المعمارية.
تشكل المواقع الأثرية في منطقة الأهوار عنصراً آخراً من تراثنا العمراني وهي غنية عن التعريف والحديث وسنشير إلى بعضها في فقرات لاحقة. المدن التأريخية مثل بابل ونينوى وبغداد لازلت تحمل في أرجائها تفاصيل ومخلفات الماضي العريق، لذا فإنها تشكل إبرز الإضاءات العمرانية في تراثنا الخالد. أحياء المدن القديمة في بغداد والبصرة والموصل والنجف التي ما تزال تشكل جزءاً من النسيج العمراني لهذه المدن تندرج في إطار التراث العمراني **(عبد ، ٢٠١٨ ، ص ٤١٣–٤٢٧)**. إن هذه العناصر العمرانية وغيرها لا تنفصل بأي شكل من الأشكال عن المعطيات الحضارية والاجتماعية والاقتصادية التي أثرت فيها، ولا عن إنسان هذه الأرض، الذي طورها وانعكست فيها عاداته وتقاليده وقيمه الدينية والاجتماعية.

مهددات التراث العمراني :

للأسف يتعرض هذا التراث القيم إلى مهددات كبيرة منها الطبيعية ومنها البشرية، يمكن أن تؤدي إلى خسائر كثير من القيم الخاصة بهذا التراث، وأهمها الهوية. إن الإرث العمراني يتعرض لمهددات بيئة وبشرية قادرة على محوه وإزالته. إن قضية الحفاظ على هذا التراث تحتل

مكانة متقدمة في سياق القضايا الثقافية التي تهم دول العالم، وتعد مسألة الحفاظ على التراث والاهتمام به إيماناً من أن الجديد ينبق من القديم ويكون بذلك قاعدة ونقطة انطلاق لبناء الحاضر واستشراف المستقبل. فالتخلي عن التراث يعني ببساطة التخلي عن الماضي والجذور وقطع الأصالة والنيل من التأصيل **(الزهراني ، ٢٠٠٩ ، ص٢٧)**.

يمكن عد التأثير البشري في التراث الأثري والعمراني أكبر بكثير من نظيره التأثير الطبيعي، فتسارع وتيرة التنمية في بعض البلدان لم تولي اهتماماً بقضية الحفاظ على التراث ولاسيماً في ظل غياب الوعي بأهميته. كما أن التطور التكنولوجي أسهم في صناعة أسلحة ذات قوة فتاكة أبادت البشر والحجر. كما أدى التطور الصناعي إلى زيادة التلوث البيئي الذي أدى بدوره إلى التأثير في التراث الأثري والعمراني. فضلاً عن السرقة والنهب والتهريب والتطرف والإرهاب والثقافة المحلية السائدة وغيرها **(عزام ، ٢٠١٢)**. كما يعاني التراث العمراني والأثري من خطر عدد من العوامل والكوارث الطبيعية التي تحدث ضمن النظام البيئي الذي تقع فيه؛ من مثل الزلازل والبراكين والسيول الجارفة والفيضانات والعوامل الجوية والمناخية؛ منها الأعاصير والرياح والحرارة والرطوبة النسبية المرتفعة والأمطار وغيرها **(الجهوري ، ٢٠١٥ ، ص٢٤٦-٢٥٨ ؛ الأنصاري ، ٢٠٠٢ ، ص ٢٩-٣٨ ؛ Iqbal , 2016 , p.2-5)**.

لهذا من واجب المؤسسات الحكومية توفير حماية صارمة لكل مواقع ومباني التراث العماري والمحافظة عليها لمد عمرها الافتراضي واحترام هويتها الفنية والتاريخية. واجراء عمليات الصيانة والترميم المتواصلة. واصدار الأحكام والأنظمة والمواثيق الخاصة بالتراث العمراني وتطبيقها، وإيقاع العقاب الصارم بمن يعبث بها ويخالف هذه التشريعات الخاصة بها.

السياحة الثقافية :

بعد أن تعرفنا على التراث العمراني وأهميته التأريخية والحضارية، نحاول في الفقرات اللاحقة أن نتعرف على أهميته في السياحة الثقافية. إذ أخذت كثير من الدول على عاتقها مهمة تسويق المناطق الأثرية والتراثية، اذ أن التراث العمراني من المنظور التاريخي الحضاري هو كنز حضاري ثمين، يمكن أن يسهم في جذب الزوار إلى هذه المناطق الأثرية. واشباع رغباتهم في التعرف على التراث **(غراب ، ١٩٩٠ ، ص١٣)**. وتعد السياحة بشكل عام من القطاعات الحساسة والاستراتيجية التي تعول عليها كثير من الدول في تنمية الاقتصاد وزيادة الدخل الوطني، فهي تمثل أحد أهم الأنشطة الاقتصادية في كثير من بلدان العالم، وهي تعنى بخلق تجربة تعتمد على عناصر جذب ثقافية ملموسة متمثلة في المواقع الأثرية والمباني التراثية وأنماط الاستيطان؛ أسوار، قرى، مدن. وتهدف إلى التعرف على الحضارات القديمة وزيارة المناطق الأثرية ذات الماضي والتأريخ العريق، فهي تجذب نوعيات معينة من السائحين الذين يرغبون في إشباع رغبة المعرفة وزيادة معلوماتهم الحضارية والتمتع بما هو متاح من التراث القديم للبشرية

من خلال المتاحف والمعابد وغيرها **(عزوق ، ٢٠٠٦ ، ص١)**. إن مفهوم التراث مفهوم واسع يتضمن كلاً من البيئة الطبيعية والثقافية وهو يشمل المواقع الطبيعية والأماكن التأريخية والمواقع والبيئات المبنية فضلاً عن الممارسات الثقافية القديمة والمستمرة والتجارب المعرفية الحية. بينما تشكل المواقع الأثرية شاهداً ورمزاً صادقاً على الإبداع الإنساني ورؤاه الفنية في مسيرة التأريخ الحضاري الإنساني، فهي تعمل على إبراز عناصر الفن والجمال والتميز والإبداع والأصالة، لهذا فهي تشكل خير لبنة لبناء صرح وحدة الأمم وتماسكها. وتعد هذه المواقع الأثرية والتراثية من أبرز المناطق الجاذبة، وهي ذات فائدة ومنفعة اقتصادية واجتماعية متعددة الأوجه ومتنوعة الأشكال، كما أنها تنمي روح الانتماء والهوية للشعوب بتمسكها بحضارتها وتراثها الذي لا تود أن تنفصل أو تنفك عنه، كما أنها تمثل مورداً اقتصادياً سياحياً مهماً، فالمناطق السياحية الثقافية أصبحت مورداً رئيسياً للاطلاع والترفيه والاستجمام في عالم اليوم، مما يؤسس لتنمية مستدامة ذات منافع اقتصادية واجتماعية للمجتمعات المحلية من زيادة مصادر الدخل الوطني **(الخضيري ، ٢٠٠٣ ، ص٥٦-٦٨)** . إن التراث العمراني غالباً ما يمكن أن يكون قادراً على استيعاب بعض النشاطات التي فقدتها المدن الحديثة، وهي بذلك تكون جزءاً مكملاً للترفيه والتنزه في المدن الحديثة. فالأهمية الاقتصادية تحتاج إلى تحويل التراث العمراني من قيمة ثقافية تراثية إلى قيمة اقتصادية عن طريق الاستخدامات الجديدة لهذا التراث العمراني كالفنادق والنزل والمطاعم التراثية وغيرها من النشاطات **(الطائي ، ٢٠٠٦ ، ص٤٣)**.

التراث العمراني العراقي :

إن الشعوب العظيمة العريقة تبقى شجرة وارفة متأصلة في الأرض ضاربة جذورها في أعماق الزمن، تخبئ البسيطة كل ماضيها حتى ولم يبق منها سوى وريقات معدودة على أغصان فريدة **(سازونوف ، ١٩٩١ ، ص٥)**. لقد أبدعت حضارة بلاد الرافدين تراثاً حافلاً عاشت عليه الإنسانية تترسم خطاه في شتى الميادين الثقافية والعلمية والفنية، إذ أنها تركت بين أيدي الأجيال الحاضرة تراثاً واعياً للكثير، وحضارة أذهلت العالم المعاصر بعظمتها وجمالها وغناها **(محمد علي ، ١٩٩٨ ، ص١٩)**. إن ما يمتلكه العراق من ثروة حضارية وثقافية غنية ومتنوعة توجب على المؤسسات الحكومية أن تحدد الآليات التي بإمكانها أن تعطي دفعاً اضافياً للسياحة الثقافية لتشجيع المحلية منها أولاً ثم السياحة الخارجية من توفير كل الظروف التي من شأنها أن تدفع بالسائح إلى زيارة هذه المواقع. فأرض العراق بما تملكه من حضارة موغلة في القدم وتراث خالد يجعل منها بيئة مثالية للاستثمار السياحي، الجنوب حيث الأهوار مهد الحضارة الجنوبية والشمال موطن الحضارة الآشورية بعواصمها العظيمة، والوسط حيث بغداد عاصمة الدولة العباسية وسامراء بملويتها الشامخة، والنجف وكربلاء بقبابها المنيرة. عملياً تعد آثار العراق من أهم عناصر الجذب للسياحة الداخلية والخارجية على حد سواء، لكن للأسف الشديد فإن أغلب

معالمنا الأثرية والتراثية غير مؤهلة سياحياً لاستقطاب الزوار، لأنها تفتقر لكل المقومات الخدمية التي تجعل منها مكاناً مناسباً للفائدة والترفيه. بعد دخول منطقة الأهوار في جنوب العراق في قائمة اليونسكو ضمن مواقع التراث العالمي، كأحد المحميات الطبيعة العالمية، التي يجب الاهتمام بها ورعايتها من أجل الإنسانية. لذا من الضروري العمل على تأهيلها سياحياً، إذا تتطلب السياحة، أيا كان حجمها وجودتها، أنشطة تتعلق بالبناء والتشييد، كما هو الحال في بناء منتجعات سياحية جديدة، مثل الفنادق والمطاعم التراثية والجسور الخفيفة والطرق وغيرها. لكن هذه المرافق السياحية المضافة يجب أن تقترن بالحفاظ على البنية الاجتماعية وطريقة عيش السكان المحليين، وعاداتهم ، وتقاليدهم في أي مكان يراد تطويره سياحياً. فأهوار العراق قادرة أن تشكل مورداً اضافياً للدخل الوطني، فهي حاضنة حضارة الجنوب ومدنه الخالدة؛ أريدو، وأور. إن جمالية الأهوار وأهليتها للسياحية وتوزيع المساكن الملائمة للبيئة والفريدة من نوعها يسمح بعدها ظاهرة طبيعية فائقة أو مناطق ذات جمال طبيعي استثنائي. إن الأثار المدفونة في ترسبات هذه الأهوار، التي تعود إلى أقدم العصور وأول الحضارات المتطورة في التأريخ تساعد على عدها إحدى القيم الإنسانية الهامة والمشتركة لحقبة من الزمن أو في المجال الثقافي سواء في تطوير تصميم المناظر الطبيعية أو تخطيط المدن أو الفنون الأثرية أو الهندسة المعمارية. قريباً من الأهوار تقوم المدن السومرية العظيمة الوركاء وأريدو وأور كما أشرنا، وقد تميزت الأخيرة بزقورتها البهية (أوسام، ١٩٩٨ ؛ Wolley , 1939 ; Nadali , 2016 ,p.103-108)

لقد هيأ لنا البحث الأثري ثروة من الدلائل القيمة عن ما يعرف بالزقورة، وهي أنصاب ومبان كثيرة في مدن رافدينية مختلفة، لاشك إن من أشهرها زقورة أور، التي وجدت في مدينة أور العاصمة السومرية المهيبة، وهي من أفضل الزقورات حفظاً في بلاد الرافدين. من المعروف أن هذا الأثر القيم الذي بني من الآجر المجفف بالشمس والمغلف بكساء خارجي من الآجر المثبت بالقير، قاوم ما أنزلته به الحروب والمحن من دمار. لقد نال هذا الأثر عناية الملوك عبر التأريخ **(أبو الصوف ، ٢٠٠٨ ، ص٢١-٢٢ ؛ بارو ، ١٩٨٠ ، ص٤٦-٤٧)**. وهناك برجان آخران هما الأضخم مما موجود في بقاع بلاد الرافدين؛ برج بورسبا (بيرس نمرود) الذي كان مكرساً لعبادة الإله نابو. يبلغ ارتفاعه نحو ٤٧ م عن السهل المجاور. لقد زار بورسبا كثير من الرحالة والسياح؛ منهم بن بطوطة الذي ذكر أنها مكان ولادة النبي إبراهيم وفيها حاول النمرود حرقه. وزارها الإيطالي بنيامين التطلي، لقد ظن معظم زوارها أنها برج بابل الشهير **(باقر ، ١٩٥٩ ، ص١٢-١٣)**. البرج الثاني كان برج دور-كوريكازو (عقرقوف) الذي يبلغ ارتفاعه نحو ٦٠ م، وهو المعبد المخصص للإله الأعظم إنليل، شيده الملك الكاشي كوريكلزوا الأول (١٤٣٨-١٤١٢ ق.م) **(بصمه جي ، ١٩٤٣ ، ص١٧ ؛ أبو الصوف ، ٢٠٠٨ ، ص٢٥)**.

وهناك مدينة بابل وبرجها المزعوم حسب سفر التكوين في العهد القديم. إذ كانت بابل مهداً لأرقى الحضارات وأقواها وأغناها [1]. مهدت هذه الحضارة لعلوم كثيرة أن تظهر للوجود وتأخذ مكانها، ووطدت لها الأسباب. فإلى هذه الحضارة كان الفضل في ظهور العلوم والقانون، وهي من زود الإغريق بمبادئ العلوم الطبيعية والفلسفية، ومنها أستقى اليهود أساطيرهم التي رويت عنهم، وهذا الذي ظهر للعرب من إلمام ببعض العلوم وحذق بالعمارة لقنه عنهم الأوربيون في العصر الوسيط، فاستيقظوا من سباتهم، مرده إلى تلك الحضارة البابلية **(عكاشة ، الفن ... ، ص٢٠)**. لقد أضحت بابل في زمن ملكها العظيم نبوخذنصر مركزاً كبيراً للإشعاع الحضاري والسياسي. وأثبتت التنقيبات الأثرية فيها ضخامة المشاريع العمرانية التي أنجزها هذا الملك، وهي لم تقتصر على بناء وتعمير الأبنية الدينية والدنيوية فحسب، بل تعدت وشملت المدن البابلية كافة ابتداءً من سبار في شمال بابل وحتى أور في الجنوب **(محمد ، ١٩٨٣ ، ص٩٥-١١٠)**.

إن بابل التي كانت حاضرة الدنيا لأكثر من ألفي عام جديرة بالرعاية والاهتمام، وشكل دخولها في اليونسكو علامة مشرقة من انتشالها من واقعها والارتقاء بها إلى حيث مكانتها الحقيقية بين مدن العالم العظيمة. تتميز هذه المدينة بقصورها ومعابدها وأسوارها وبواباتها الشهيرة **(فرينر ، ١٩٧٦ ، ص٥١-٥٤)**. تشكل المنارة الملوية في سامراء واحدة من الآثار الخالدة في وسط العراقية، التي تقع في مدينة سامراء حيث يقع تل الصوان، وهو واحد من أعرق مواقع العصر الحجري الحديث الفخاري **(أبو الصوف ، ١٩٦٧ ، ص٣٧-٤٨)**. والمئذنة الملوية هي أحد معالم العراق المميزة؛ بفضل طرازها المعماري الفريد بين مآذن العالم الإسلامي، فهي معلم أثري لا نظير ولا شبيه له في العالم الإسلامي، وهي إحدى إبداعات العمارة الإسلامية، يبلغ ارتفاعها نحو٥٢م، أمر بتشييدها الخليفة العباسي المتوكل بالله عام ٢٣٧ هجري، لتكون الأكبر والأجمل من بين مآذن العالم الإسلامي آنذاك **(القيسي ، ١٩٩٨ ، ص٢٧٧-٢٨٢)**.

تشكل مدينة الموصل علامة فارقة في التراث العمراني الخالد، فهناك فضلاً عن العواصم الآشورية العظمية وقصورها الزاهية في الجانب الأيسر من المدينة، هناك كثير من مقامات الأنبياء تنتشر في المدينة حتى يمكن عدها مدينة الأنبياء كما يحلو للبعض تسميتها، وهناك الأسوار والقلاع والأديرة والكنائس والأبنية والمساجد الإسلامية، من أبرزها الجامع الكبيرة بمأذنته الجميلة، فضلاً عن المزارات الأيزيدية **(وزارة السياحة ، ٢٠١٤-٢٠١٥)**.

من المعروف أنه توجد في أرض العراق كثير من المراكز الدينية للطوائف غير المسلمة

---

(1) لا يمكن حصر ما كتب عن مدينة بابل، فهي واحدة من أشهر المدن عبر التأريخ ولا يستطيع أي مؤرخ يكتب عن تأريخ العالم القديم أن يغفل ذكر هذه المدينة الخالدة. أوتس، جون (١٩٩٠). بابل تأريخ مصور. ترجمة، سمير عبد الرحيم الجلبي، بغداد.

كالكنائس والأديرة القديمة؛ منها كنيسة (مار أشعيا)، التي كانت في الأصل ديراً ذا تأريخ عريق يعود إلى أواخر القرن السادس الميلادي، وكنيسة (مار أحودمة) وكنيسة(مار بثيون) ودير (مار إيليا) ودير (مار متي) من القرن الرابع الميلادي ودير (مار كوركيس) ودير (مار بهنام) من القرن الخامس قبل الميلاد ودير (الربان هرمزد) المنقور في الصخر قرب بلدة القوش. كذلك هناك أضرحة ومعابد ومزارات الأيزيديين؛ (مرقد الشيخ عدي الهكاري)، و(مزار الشيخ بيرزكر)، وهناك الكنس اليهودية؛ مثل (القبر المنسوب للنبي ناحوم وقبر أخته سار بالقرب منه) قرب مدينة القوش في الموصل، وهو من الأنبياء الاثني عشر الصغار من قرية القوش في فلسطين ويدعى (ناحوم الألقوشي)، وقد جاء مرحلاً من الآشوريين إلى هذا المكان حيث دفن، وهو صاحب السفر الرابع والثلاثون من أسفار العهد القديم، وقد كتب عنه الرحالة الأوربيون الذين زاروا المنطقة وصفاً وشرحاً وتوثيقاً تأريخياً، وكان اليهود يحجون إلى قبره كل عام حتى خمسينات القرن العشرين، وإن وجود الضريح المنسوب له في نينوى يخالف الرواية التوراتية التي تقول أنه عاد إلى فلسطين مع جماعة كبيرة من يهود بابل وأعاد بناء الهيكل ثم مات هناك. كذلك هناك مزار (الكفل) الذي يقع على بعد نحو ٣٠ كم غرب مدينة بابل، الذي يضم قبر النبي ذي الكفل الوارد في القرآن، وهو حزقيل في التوراة (**العزاوي ، ١٩٨٤ ، ص٢١٥-٢٢٥**) .

وهناك قبر اليعازر (عزرا – العزيز) قرب القرنة في محافظة البصرة، وهو من الأنبياء الذين رحلهم الملك البابلي نبوخذنصر، إذ تقول المآثر اليهودية أنه عاش في البلاط البابلي ثم في البلاط الفارسي، ومنها عاد إلى فلسطين مستصحباً معه سفر الشريعة ثم كتب التلمود هناك. وفي نينوى هناك القبر المنسوب للنبي يونان (يونس)، وكذلك مقام النبي شيت، وفي كركوك يوجد المقام المنسوب للنبي دانيال، وفي جانب الكرخ من بغداد في مقبرة الشيخ جنيد البغدادي يوجد مقام ينسب للنبي يوشع بن يعقوب، وهناك مقام النبي أيوب والخضر وغيرها. فضلاً عن وجود كثير من المعابد المجوسية المنتشرة في شمال العراق . ولكون التوراة والتلمود كتبا في أرض الرافدين، ولأن نصوصهما كانت حافلة بذكر أنبياء اليهود المرحلين من الآشوريين والبابليين ، فإن هذا يجعل من أرض الرافدين قبلة للزوار، الذين تدفعهم عقيدتهم الدينية وخلفيتهم الثقافية لدفع الغالي والنفيس من أجل أن تكحل عيونهم برؤيتهم مزارات ومعابد وكنس تخص أنبيائهم وأولياءهم، وهو أمر يجب أن يوضع في الحسبان. إذا ما أدرجنا المراقد الدينية في النجف وكربلاء وبغداد وسامراء، فضلاً عن مقامات الأولياء الصالحين وغيرهم. وإذا ما أشرنا إلى المواقع والمباني والأحياء التراثية في بغداد والبصرة والنجف وأربيل والموصل وغيرها من أماكن التراث العمراني ستكون لدينا حصيلة مذهلة من هذه الكنوز الشاخصة، التي إذا ما أحسن توظيفها واستثمارها سنكون أمام مصدر دخل ثابت قادر على انتشال البلد من واقعه الاقتصادي المزري (**الشمري ، ٢٠١٨ ، ص٩-١٠**). إن ما يمتلكه العراق من ثروة حضارية وثقافية غنية

ومتنوعة توجب على المؤسسات الحكومية أن تحدد الآليات التي بإمكانها أن تعطي دفعاً اضافياً للسياحة الثقافية لتشجيع المحلية منها أولاً ثم السياحة الخارجية من توفير كل الظروف التي من شأنها أن تدفع بالسائح إلى زيارة هذه المواقع، من توفير خدمات حقيقية وتسهيل سمات الدخول وترسيخ مفهوم السياحة لدى السكان المحليين ومؤسسات الدولة من نشر الوعي بأهمية السياحة ودورها في التعريف بتأريخ وحضارة الأمة والتأكيد على المردود الاقتصادي لهذه العملية. وهذا ما يعرف بصناعة السياحة التي تعتمد على جهود الدولة وما تعمله من أجل جذب السائح بشكل كبير وواسع، إذ يجب عليها أن تقوم بتوفير المنشآت والخدمات، وتعمل على راحة هؤلاء السياح وتوفر احتياجاتهم منذ وصولهم حتى مغادرتهم، وهي جهود يجب أن تقوم بها كافة الجهات والمنظمات والمؤسسات الحكومية **(Davidson, 1986 , Tourisme , London,p.17)** .

إن وضع خطط استثمارية بعيدة المدى من أجل توظيف التراث العمراني بكافة عناصره، من ادارك القيم المنفردة لكل منطقة ومعلم على حدة، ومن ثم إجراء الفحص ولاستكشاف الثقافي والاقتصادي الأفضل والاستخدام الأمثل لها يشكل جوهر السياحة الثقافية. إن هذا النوع من السياحة ترافق مع تقدم وتطور وسائل النقل والاتصالات، كما أنه أرتبط بالعولمة التي أفرزت اهتماماً متجدداً بالتوجه نحو الاقليمية وإعادة اكتشاف الهوية الثقافية وحماية التراث الثقافي، كنقيض للتشابه والتجانس الثقافي المرتبط بسيطرة الحضارة الغربية. على الدولة أن تنظر نظرة موضوعية وجدية إلى أن التراث العمراني يمكن توظيفه كأحد مصادر الدخل المهمة، فكثير من دول العالم الآن ترى فيه حلاً سريعاً للتنمية الاقتصادية نتيجة ضخامة عائداته ومرونة تغلغل هذا العائد في قطاعات كثيرة من الاقتصاد. إن مناطق التراث العمراني الجاذبة أصبحت في عالم اليوم مورداً اقتصادياً سياحياً مهماً يسهم في خلق منافع اقتصادية واجتماعية للمجتمعات المحلية وفي زيادة وتنوع مصادر الدخل الوطني. فالأهمية الاقتصادية تحتاج إلى تحويل التراث العمراني من قيمة ثقافية تراثية إلى قيمة اقتصادية عن طريق الاستخدامات الجديدة لهذا التراث العمراني كالفنادق والنزل والمطاعم التراثية.

المستخلص :

يشمل التراث العمراني الشواهد والمعالم التراثية والعمارية، ويتجسد في المباني والمدن والمواقع الأثرية، وهي تمثل الرمز المادي الذي يجسد تأريخ الأمم وتراثها الحضاري والعمراني بأبعاده التأريخية، والثقافية، والجمالية، والفنية، المؤثرة في وجدان الشعوب، والذي تستقي منه الأجيال ثقافتها، وخصائصها، وانتمائها الحضاري، مما يعزز هويتها الثقافية. ويتمثل في المعالم التي مرت عليها مدة من الزمن مثل المدن (الوركاء، وأور، وبابل، ونينوى، وبغداد، وسامراء) والقرى (جرمو، وحسونة، وتل الصوان)، أو المعابد والمزارات والأديرة والكنائس والأحياء والأسواق والحدائق، التي لم تمتد إليها يد التجديد بعد، وكذلك المباني والمنشآت على اختلاف عصورها

وأحوالها، وهي تؤلف جانباً مهماً من التراث الحضاري جديراً بأن يبقى على مر الأجيال كشواهد ملموسة صادقة على حيوية الأمة ونشاطها، وعلى ما أبدعه الأجداد في مضمار الفن المعماري، والمفاهيم المتصلة بالحياة الإنسانية في شتى مظاهرها. إذ يجسد التراث العمراني الهوية الوطنية للأمم والشعوب، فهو يمثل الذاكرة التاريخية للشعوب، وإن تراث كل أمة هو رصيدها الباقي وذخيرتها الثابتة، ومدخراتها المعبرة عن مدى ما كانت عليه من تقدم في كل مجالات الحضارة والثقافة، بل هو الحافز الأول، والدافع القوي إلى تتبع خطوات الأقدمين في نشاطهم وثقافتهم وأداء واجبهم. وما تقدمت أمة، ولا نهضت دولة، ولا خطا شعب خطوات إلا بالاعتماد أولاً على إحياء التراث ونفض الغبار عنه، فهو إذن الأصل الذي يرجع إليه في بناء الحاضر مع إضافات العصر، والمثل الذي يحتذى به في بناء الجيل الجديد. ويعد التراث العمراني العراقي من أهم عناصر الجذب للسياحة الداخلية والخارجية، ودخول بعض من هذا التراث كسامراء وبابل والأهوار في قائمة اليونسكو ضمن مواقع التراث العالمي يشكل دافعاً وحافزاً من أجل الارتقاء بها بما يتوافق مع هذه المكانة العالمية. إن إدارة ملف هذه المواقع بالشكل السليم وبصورة علمية يعني الحفاظ على أرثنا وهويتنا وتأريخنا وحضارتنا. كما أنه يعزز موقف العراق في تسجيل مواقع أخرى على لائحة التراث الثقافي العالمي. إن إدارة مواقع التراث العمراني يعني إبرازها كمناطق تأريخية وتراثية وأثرية والعمل على توظيفها باستخدام سياحة جديدة بعد تأهيلها والحفاظ على خصوصيتها وأصالتها. ويتم ذلك من وضع إطار عام موجه لإدارة هذه الأماكن مع رسم السياسات ووضع البرامج والخطط الداعمة لإدارتها وتوظيفها بشكل تام في خدمة الاقتصاد الوطني. إن تأريخ كثير من المواقع والمعالم الأثرية في العراق موغل في القدم وثم ثم فإنها معرضة لعوادي الزمن فضلاً التغيرات المناخية في وقتنا الحاضر والاضطرابات السياسية والحروب وما يرافقها من عمليات تفجير في أماكن قريبة منها، يحتم على الجهات المسؤولة إجراء عمليات صيانة مستمرة، وإنه من دون أعمال الترميم والصيانة فإن مصيرها في خطر. لقد وضعت منظمة اليونسكو مأذنة سامراء على سبيل المثال في القائمة الحمراء، إذ وضعت المئذنة منذ تسعينيات القرن الماضي على قائمة المعالم المعرضة للخطر. وأكدت المنظمة أن على الحكومة العراقية أن تعي تماماً أنها ملزمة بإعداد خططا وحماية كل معلم تاريخي تجاوز عمره المئة سنة، على وفق اتفاقية التراث العالمي. وهي تراقب أسلوب تعامل الدول وجديتها في الحفاظ على آثارها. إذ لا يمكن المساس عمداً بأي أثر أو الأضرار به، سواء في تشريعات أو بشكل تنفيذي، وتحت أي دافع من الدوافع. تحتل السياحة الدينية في العراق المساحة الأكبر من الاهتمام، لكن ثمة توجه لزيادة التوعية بأهمية السياحة الأثرية أيضاً. نحتاج إلى توجيه الجهود للتعريف بأهمية السياحة الأثرية بجانب السياحة الدينية. ويجب أن نسعى إلى أن تصبح المدن

ذات الطابع المشترك الديني والثقافي مثل سامراء وأور بالمستوى نفسه في كلا الجانبين، وإن يكون هناك عناية بالجانب الديني والأثري والترفيهي وجعلهما أكثر تطوراً.

إن الاستخدام الأمثل للإمكانات والموارد السياحية وتوظيفها بالشكل المناسب لصالح التسويق عن طريق ربطها بالمشاريع السياحية لتحقيق الأهداف المنشودة منها. فالأهوار والمناطق المرافقة لها من مدن الجنوب القديمة على سبيل المثال يمكن توظيفها عن طريق وضع المخططات لمشاريع سياحية مستقبلية، تعمل على توظيف الموارد الطبيعية والتأريخية المتوفرة في هذه المنطقة وتحويلها إلى موارد اقتصادية. إذ يمكن إقامة مساكن تراثية من القصب والبردي وحدائق ومحميات للحيوانات والطيور البرية ومراسي للزوارق ومعامل وورشات صغيرة للصناعات الحرفية واسواق لبيع الأسماك والطيور وغيرها. وفيما يتعلق بالمدن الدينية يمكن تطوير البنى التحية وشبكات النقل الداخلي والخارجي وخطوط السكك الحديث بين هذه المدن وبقية المدن وتنشيط النقل الجوي، والعمل على زيادة أعداد الفنادق السياحية والنزل، والاهتمام بالخدمات المقدمة في كل المدينة وليس فقط قرب المزارات، مع اتاحة الفرصة لاستثمار القطاع الخاص وتشجيع الصناعات الحرفية وتشغيل العمالة المحلية. إن صناعة السياحة تتطلب من الدول أن تعمل على جذب السائح بشكل كبير وواسع، وأن تقوم بتوفير المنشآت والخدمات، وتعمل على توفير احتياجاتهم منذ وصولهم حتى مغادرتهم، إذ يطلق على العمل الذي تقوم به الجهات والمنظمات التي تقدم تلك التسهيلات(صناعة السياحة).

مصادر البحث :

١- أبو الصوف، بهنام(١٩٦٨). التنقيب في تل الصوان. الموسم الرابع- ربيع ١٩٦٧.مجلة سومر، العدد،٢٤، الجزء،١-٢.

٢- أبو الصوف، بهنام(٢٠٠٨).قراءات في الآثار والحضارات القديمة. بغداد.

٣- أوتس، ديفيد وجون (١٩٨٩). فجر الحضارة. ترجمة لطفي الخوري ، بغداد.

٤- أوتس، جون (١٩٩٠). بابل تأريخ مصور. ترجمة، سمير عبد الرحيم الجلبي، بغداد.

٥- الأنصاري، عبد الرحمن محمد(٢٠٠٢). الآثار بين عوادي الزمن وإهمال البشر. الرياض.

٦- أوسام بحر، أوسام (١٩٩٨). الزقورة ظاهرة حضارية مميزة في العراق القديم. رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم الآثار.

٧- أندريه(١٩٨٠) . برج بابل. ترجمة، جبرا إبراهيم جبرا. بغداد.

٨- باقر، طه(١٩٥٩). بابل وبورسبا. بغداد.

٩- بصمجي، فرج(١٩٤٣). كنوز المتحف العراقي. بغداد.

١٠- بويحياوي، عز الدين (٢٠٠٧). المحافظة على التراث الوطني من وجهة نظر علم الآثار. الجزائر.

١١- الجهوري، ناصر سعيد(٢٠١٥).مهددات التراث الأثري في سلطنة عمان. مسقط.

١٢- الخضيري، محسن محمد(٢٠٠٣). التسويق السياحي، مدخل اقتصادي. القاهرة.

١٣- الزهراني، عبد الناصر(٢٠٠٩).التراث العمراني للبلدة القديمة بمدينة العلا والحفاظ عليه. الرياض.

١٤- سازونوف، أ(١٩٩١). حضارة ما بين النهرين العريقة. ترجمة، حنا أدم، دمشق.

١٥- الشمري حميد(٢٠١٨). سرقة حضارة الطين والحجر. بغداد.

١٦- عبد ، أحمد مزهر (٢٠١٨). دور القطاع السياحي في النمو الاقتصادي(نظرة مستقبلية لدور السياحة في الأهوار العراقية في التنمية). مجلة العلوم الاقتصادية ، عدد ١٠٨، المجلد ٢٤.

١٧- عزام، محمد (٢٠١٢). مقومات النظام السياحي. الرياض.

١٨- العزاوي، عبد الستار جبار(١٩٨٤). ذو الكفل التنقيب والصيانة ١٩٧٨/١٩٨١. مجلة سومر ، العدد ٤٣، المجلد، ١-٢.

١٩- عزوق، عبد الكريم (٢٠٠٦). التراث الأثري، مفهومه، أنواعه، أهميته، حمايته واستغلاله كثروة اقتصادية. الجزائر.

٢٠- عكاشة، ثروت (ب.ت). الفن العراقي القديم. سومر وبابل وآشور، ج ٤. بيروت

٢١- غراب، سعد (١٩٩٠). كيف تهتم بالتراث. تونس.

٢٢- فرينر، كريشن (١٩٧٦). عجائب الدنيا في عمارة بابل. ترجمة، فوزي رشيد، بغداد.

٢٣- القيسي، ربيع (١٩٩٨). الملوية- منارة المسجد الجامع في سامراء. مجلة سومر،العدد٤٨.

٢٤- الطائي، حميد عبد النبي (٢٠٠٦).أصول صناعة السياحة. عمان.

٢٥- كريمر، صموئيل نوح (١٩٧٣). السومريون، تأريخهم وحضارتهم وخصائصهم. ترجمة. فيصل الوائلي. الكويت.

٢٦- محمد، حياة إبراهيم (١٩٨٣). نبوخذنصر ٦٠٤-٥٦٢ ق.م. بغداد.

٢٧- محمد علي، محمود(١٩٩٨). الأصول الشرقية للعلم اليوناني. القاهرة.

28-Davidson ,A. (1986). Tourism. London.

29- Elizabeth C. Stone(2001).Mesopotamian Cities and Countryside. Oxford.

30-Iqbal ,S. (2016). Impact of Environment on Architecture of Mesopotamia with Respect to the Use of Materials, Tools and Mode of Construction. Islamabad , Pakistan.

31-Nadali ,D. (2016). The sky from the high terrace: study on the orientation of the ziqqurat in ancient Mesopotamia. Mediterranean Archaeology and Archaeometry, Vol. 16 № 4.

32-Wolley, L,E. (1939).The Ziggurat and it's Surrounding. London- New York, vol.5.

The importance of urban heritage

in supporting cultural tourism

Abstract

Urban heritage is a cultural wealth representing the identity of peoples and nations, reflecting the story of human the development of civilization through history. It is an economic resource that contributes to the support of national income by stimulating foreign and domestic tourism. Urban heritage areas have become attractions in our world today and an important economic resource for tourism, recreation, promenade and recreation, which creates a sustainable development, reflected positively in the economic and social benefits of local communities and contribute to the increase and diversity of sources of national income, by creating investment opportunities in urban heritage areas .